الخاتمة

بعد الرحيل

مما سبق يتضح لنا أن الفرية التي روجت لها الصهيونية بشكل غير مسبوق فيما يتعلق ببيع الفلسطينيين لأراضيهم فقد كانت بهدف تغطية جرائمها ومجازرها الوحشية Atrocity التي ارتكبتها أثناء الحرب التي شنتها قوات الاحتلال "الإسرائيلي" لطرد الفلسطينيين من أراضيهم، وهذا ليس ما أعطاهم إياه حق التقسيم ولكن لتوسع حدود المحتل، والسيطرة علي المناطق الإستراتيجية في فلسطين وهذا من ناحية، ولكن من ناحية أخري نجد أن قوات الاحتلال قامت بتشويه صورة الفلسطينيين أمام إخوانهم العرب حتى لا يتعاطفوا معهم أو يساندوهم في معاركهم لاسترداد أراضيهم(١).

ويتضح لنا أيضاً أن المأساة تعود في أسبابها العميقة إلى الممارسات الإرهابية الصهيونية والسياسية الاستيطانية الاجلائية التي قام على أساسها الكيان الصهيوني Zionist Entity أصلا والتي استمر ويستمر في إتباعها تجاه الشعب الفلسطيني. وإن خير معبر عن هذه الممارسات والسياسات هي فكرة الترانسفير Transfer (الترحيل) وشعار أرض بلا شعب لشعب بلا أرض، والتي شكلت ولا زالت مقوماً من مقومات الفكرة والممارسة الصهيونية(٢)؛ فالأرض في نظرهم خالية خاوية، و"الشعب" فاقد أرضه، و"منفي" عنها منذ آلاف السنيين، فما الذي يمنع أن يعود "الشعب" إلى أرضه من منفاه، وما الضير أن تعود الأرض بعد "نفيها" إلى أصحابها"الشرعيين" اليهود.. وتعود هذه الفكرة في أصولها إلى فهم زعماء الصهيانية الأوائل أمثال هرتزل، وآحاد هاعام، وجابوتنسكي وأتباعهم لحل المسألة اليهودية The Jewish Question القائم على أساس انتزاع اليهود من مجتمعاتهم التي يعيشون فيها ورفض اندماجهم فيها والعمل على تهجيرهم إلى فلسطين وتوطينهم Re-establishment بها عن طريق الاستيلاء على الأرض وطرد سكانها الأصلين. وقد عبر بنيامين زئيف هرتزل عن ذلك في مذكراته حيث دعا إلى العمل على انتزاع ملكية الأرض التي سيستولون عليها والعمل على تشجيع سكانها على النزوح إلى البلدان المجاورة(٣).

---

(١) هند أمين البديري: فلسطين وأكذوبة بيع الأراضي، جريدة الأهرام، ع -٤١٤٣٧، ١٩-٥-٢٠٠٠م

(٢) إدوارد سعيد وآخرون: الواقع الفلسطيني، مرجع سابق، ص ١٤.

(٣) نور الدين مصالحة، مفهوم الترانسفير في الفكر والتخطيط الصهيوني ١٨٨٢-١٩٤٨، مرجع سابق، ص١٢. وإسحاق رابين: بطاقة خدمة، تل أبيب،ج١، مكتبة تل أبيب، ١٩٧٩، ص٧٦.

أما بن غوريون فقد دعا إلى استخدام العنف والقوة لاقتلاع الفلسطينيين من وطنهم وإلى استيطان الأرض بالقوة أيضاً[١].

ولهذا فإن نكبة ١٩٤٨ وتهجير الفلسطينيين من قراهم ومنازلهم لم تحدث الصدى اللازم في الرأي العام العالمي لأن الحركة الصهيونية قد نجحت في خلق تصور ان بلاد فلسطين كانت خالية وقفراء وأن سكانها الذين يعيشون فيها لا يستحقون الحياة.

وفي مذكرات للقادة الصهيانية، كمذكرات إسحاق رابين نجد شهادات دامغة على مسؤولية "إسرائيل" في تهجير الفلسطينيين من وطنهم بالقوة، كما نجدها على لسان العديد من اليهود الذي شاركوا في الأحداث. يعترف إسحاق رابين في مذكراته أنه بعد احتلال اللد والرملة في حزيران/يونيو ١٩٤٨م تم ترحيل أكثر من (٥٠٠.٠٠٠) فلسطيني تحت إمرته وبأوامر من بن غوريون، وذلك في إطار خطة (داليت) التي أعدها يجال يادين، والتي بدء في تنفيذها في نيسان/ابريل ١٩٤٨م، حيث استهدفت توسيع رقعة الدولة الصهيونية وطرد الفلسطينيين[٢].

كما مهد الانتداب البريطاني لهذه الأفكار العدوانية – الاستيطانية – الاقتلاعية حيث أصدر وعد بلفور ١٩١٧م، الذي يذكر بصراحة وجود شعب فلسطين على أرضه ويحصر حقه في إطار "حقوق مدنية ودينية للطوائف غير اليهودية" متذكراً في الأصل لوجود أغلبية عربية في فلسطين، والتي تشير الإحصاءات إلى إنها وصلت آنذاك إلى (٩٣%) من سكان فلسطين، بينما كان اليهود لا يتعدون(٧%) ومعظمهم من المهاجرين الجدد[٣]. ومارست بريطانيا سياسية تهجير الشعب الفلسطيني طوال فترة الانتداب ١٩٢٢-١٩٤٨م من خلال الطرد الطوعي العام والقسري بمظهره الخفي من خلال الذفي نحو الخارج، أو منع عودة الفلسطينيين المغتربين، ومن خلال التضييق العام على السكان العرب اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً.

أعطت كل من هذه الأعمال ثمارها في الحرب العربية- "الإسرائيلية" الأولى ١٩٤٨م، فكان النزوح الجماعي الكبير الذي لم تشهد له فلسطين مثيلاً من قبل، والأسباب باتت واضحة للعيان، فلم يأت هذا التهجير والإجلاء Evacuation عفوياً أو مجرد مصادفة، بل كان مدروساً على أرفع المستويات الصهيونية، والبريطانية، والأمريكية، وفي سبيل تلك الغاية تمت صياغة أخطر الخطط المدروسة في عناية فائقة لإقامة دولة "إسرائيل" على أنقاض الشعب العربي الفلسطيني.

---

(١) المرجع نفسه، ص٥٣.

(٢) مذير الهور، طارق الموسى: مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية ١٩٤٧- ١٩٨٥، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، الأردن، ط٢، ١٩٨٦، ص١٢.

(٣) الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، م٤، هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق، ١٩٨٤، ص٢.

وبالرغم من تحول الفلسطينيين إلى أقلية محاصرة ومضطهدة بعد عام ١٩٤٨ فإن الفكر الترانسفيري لم يبرح عقول وقلوب قيادي "إسرائيل" السياسيين والاجتماعيين والعسكريين، فلم تكن كافية كل عمليات الترحيل والتهجير التي نفذتها العصابات الصهيونية فإن فايتس انضم إلى مجموعة المنادين والمطالبين بشدة إلى طرد العرب الفلسطينيين من "إسرائيل" بواسطة محاصرتهم والتضييق عليهم والسعي إلى تشجيعهم لترك "إسرائيل"حتى تبقى "إسرائيل" "للاسرائيليين" وكي لا يبقى الفلسطينيون شوكة في حلق المجتمع "الاسرائيلي"، خاصة على المدى البعيد(١).

ولابد أن في الختام أن نشير إلى نقطة في غاية الخطورة ألا وهي أنه بالقدر الذي كان فيه قيام وتوسع "اسرائيل" أحد أبرز ممفاعيل الايديولوجية الصهيونية المجسدة في قوة مادية منظمة تساندها قوى غربية متعددة، فإنه كان أيضاً أحد مفاعيل الوهن العربي الذي لولاه لبقيت الدولة الصهيونية أسطورة خيالية بل أنه لولا الوهن العربي لبقيت الايديولوجية الصهيونية مجرد خرافة وأحلام يقظة مريضة ليس إلا(٢).

انتهى
القاهرة في مارس ٢٠١٠

(١) جوني منصور: منقذ الأرض وداعية ترانسفير، مرجع سابق، ص ١٥٩.
(٢) أسعد عبد الرحمن: رحلة التوسع الصهيوني، مقال ضمن كتاب العربي "الفلسطينيون من الاقتلاع إلى المقاومة، ابريل، ١٩٨٨ م، ص ٤٣.

من قصبِ الغاباتْ
نخرجُ كالجنِّ لكمْ.. من قصبِ الغاباتْ
من رُزم البريدِ، من مقاعدِ الباصاتْ
من عُلبِ الدخانِ، من صفائح البنزينِ، من شواهدِ الأمواتْ
من الطباشير، من الألواح، من ضفائر البناتْ
من خشبِ الصُّلبانِ، ومن أوعيةِ البخّورِ، من أغطيةِ الصلاةْ
من ورقِ المصحفِ نأتيكمْ
من السطور والآياتْ...
فنحنُ مبثوثونَ في الريح، وفي الماءِ، وفي النباتْ
ونحنُ معجونونَ بالألوانِ والأصواتْ..
لن تُفلتوا.. لن تُفلتوا..
فكلُّ بيتٍ فيهِ بندقيهْ
من ضفّةِ النيلِ إلى الفراتْ
لن تستريحوا معنا..
كلُّ قتيلٍ عندنا
يموتُ آلافاً من المراتْ...
إنتبهوا.. إنتبهوا...
أعمدةُ النورِ لها أظافرْ
وللشبابيكِ عيونٌ عشرْ
والموتُ في انتظاركم في كلِّ وجهٍ عابرِ...
أو لفتةٍ.. أو خصرْ
الموتُ مخبوءٌ لكم.. في مشطِ كلِّ امرأةٍ..
وخصلةٍ من شعرْ..

ننصحُكم أن تقرأوا ما جاءَ في الزّبورْ
ننصحُكم أن تحملوا توراتَكم
وتتبعوا نبيَّكم للطورْ..
فما لكم خبزٌ هنا.. ولا لكم حضورْ
من بابِ كلِّ جامع..
من خلفِ كلِّ منبرٍ مكسورْ
سيخرجُ الحجّاجُ ذاتَ ليلةٍ.. ويخرجُ المنصورْ
إنتظرونا دائماً..
في كلِّ ما لا يُنتظَرْ

فنحنُ في كلِّ المطاراتِ، وفي كلِّ بطاقاتِ السفرْ
نطلعُ في روما، وفي زيوريخ، من تحتِ الحجرْ
نطلعُ من خلفِ التماثيلِ وأحواضِ الزَّهرْ..
رجالُنا يأتونَ دونَ موعدٍ
في غضبِ الرعدِ، وزخاتِ المطرْ
يأتونَ في عباءةِ الرسولِ، أو سيفِ عُمرْ..
نساؤنا.. يرسمنَ أحزانَ فلسطينَ على دمع الشجرْ
يقبرنَ أطفالَ فلسطينَ، بوجدان البشرْ
يحملنَ أحجارَ فلسطينَ إلى أرضِ القمرْ..
موعدُنا حينَ يجيءُ المغيبْ
موعدُنا القادمُ في تل أبيبْ
"نصرٌ من اللهِ وفتحٌ قريبْ"
(نزار قباني)